

العسكرية العربية الإسلامية

لمحمود شيت خطاب

د . عبدالعظيم الديب

كلية الشريعة — جامعة قطر

محمود شيت خطاب . العسكرية العربية الإسلامية . الدوحة : رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية ، ١٤٠٤ هـ ، ٢٠٠ ص .
[كتاب الأمة — ٣]

- اللواء الركن محمود شيت خطاب .
- أعرف من أن يعرف . فارس الميادين :
- ميدان العسكرية ، وميدان العلم ، وميدان اللغة ، وميدان السياسة ، وميدان الإدارة .
- وأخص ما يذكر به خلق قويم ، وإخلاص نادر في الدفاع عن قضايا أمتنا .
- وجهاد صادق في سبيل إعادة أمجادها ، وبناء مستقبلها .
- العقيدة العسكرية .
- المعارك التاريخية .
- القادة .
- التراث العسكري .
- اللغة العسكرية .
- الأسلحة القديمة .

يتناول المؤلف في هذا الكتاب القيم هذه الموضوعات ، فبين لنا :—

غياب العقيدة العسكرية الإسلامية عن الجيوش الإسلامية الحديثة وما أدى إليه . وكيف نكتب المعارك الإسلامية ، ولماذا نعيد كتابتها .

له نحو ١٢٠ بحثاً وكتاباً . تتلمذت على يديه أجيال وأجيال .

عسكري صنديد ، ومجمعي عتيد .

وهذا الكتاب عن العسكرية العربية الإسلامية ، يتناولها من نواحي :—

بأجد أمتهم ، والثقة بمستقبلها .

(أ) : في الفصل الأول من فصول الكتاب الستة ، يحدّثنا المؤلف عن ضرورة إعادة كتابة معاركنا العسكرية ، معارك الفتح ، ومعارك إعادة الفتح ، ومعارك الدفاع ، وكتابة هذه المعارك « قسم من أقسام العسكرية الإسلامية ، لا يقل عن أقسامها الأخرى ، فهي التطبيق العملي للعقيدة العسكرية الإسلامية على الأرض وفي ميادين القتال » ص ٣١ .

— ثم يعرض لتيار هذه المعارك التاريخي ، وما اعتراه من مدّ وجزر ، ويؤكد « أن أهمية إعادة كتابة المعارك العربية الإسلامية ، لا تقتصر على معارك الفتح ، ومعارك استعادة الفتح بل تشمل المعارك الدفاعية الناجحة ، والمعارك الدفاعية الخاسرة ، لكي نعرف عرباً ومسلمين لماذا انتصرنا ، ولماذا اندحرنا ، وكيف يمكن أن نتصر ، وكيف يمكن أن نتحاشى الاندحار » ص ٣٥ .

— ثم يقول : « إن الماضي هو دعامة الحاضر ، وأمل المستقبل ، فلا ينبغي إهماله أو إلغاؤه ، كما لا ينبغي استنساخه بدون إبراز دروسه المفيدة وعبره النافعة ، فالأمة التي لا تاريخ لها كالشجرة التي لا جذور لها ، تموت غداً ، إن لم تكن قد ماتت اليوم أو بالأمس القريب أو البعيد » ص ٣٦ .

— وهذه صرخة في وجوه هؤلاء الذين أولعوا برّكل تاريخهم وصفه ، وجلّده وصلّبه

وماذا يعني بقيادة الفتح ، وكيف تكتب سيرتهم ، ولماذا نكتبها .

وما هو التراث العسكري العربي الإسلامي ، وما منهج تحقيقه وما أهميته . وما فائدة وصف الأسلحة القديمة ومعرفتها .

وما فائدة تطهير اللغة العسكرية العربية من المصطلحات الأجنبية الدخيلة واعتماد العربية الفصحى في المصطلحات العسكرية العربية .

وقد استطاع المؤلف أن يجلو هذه الموضوعات بأسلوبه الرائع الشائق الذي يشهد بوضوح الفكرة وحضور الذهن . فمع أن هذه الموضوعات تبدو جافة غير مشوقة إلا أن المؤلف استطاع أن يقدمها في صورة رائعة تشدّ إليها القارئ ، وتهز أوتار قلبه ، وماذا إلا لصدق العاطفة وتوهج الروح .

ولا نكون مخطئين ، ولا متجاوزين إذا قلنا : إن هذا الكتاب في حقيقته وجوهره عبارة عن منهج وخطة ليس إلا ، ولا يتبادر إلى الذهن أن هذا تقليل من قيمته ، أو نقص من شأنه ، بل على العكس ، هو إعلاء لقدره ، وشهادة بقيمته ومنزلته .

فليس المنهج إلا حصيلة تجارب غالية ، وليست الخطة إلا ثمرة معرفة ، ونتيجة خبرات نادرة .

ولا يتقدم بالمنهج والخطة إلا الناصحون المخلصون ، الذين امتلأت قلوبهم بالإيمان

عسى الله أن يفتح مغاليق القلوب العمى
والآذان الصم .

— ولم ينس أن يعرض للمصادر التي تعتمد
في كتابة تاريخ المعارك العسكرية وأشاد
بأعمها وأوثقها : تاريخ الطبري ، وتاريخ ابن
الاثير ، وفتوح البلدان للبلاذري . وشهد
للمؤرخين المسلمين القدماء بما يستحقون
من تبجيل صدقهم وأمانتهم ، وعلمهم
وإخلاصهم وطهارة قصدهم . ونحن معه في
ذلك تماماً (إلا أن لنا تحفظاً على ما يوحى
به هذا الكلام سنورده فيما بعد) .

— ثم أضاف إلى ذلك بيان الأسلوب
والمنهج ، وأكد ضرورة الالتزام بالأمانة المطلقة
والحفاظة على حقائق التاريخ ، ونعى على
هؤلاء الذين يتأثرون بكتابات المستشرقين ثم
يزعمون أن هذا الزيف من ابتكارهم ،
والمهم أنه شيء يستحق الانتباه .

— كما يرفض هذا الانحراف الفكري ، الذي
يجعل البعض يوازن بين معاركنا الإسلامية
والمعارك الغربية الحديثة ، متوهماً أنه بهذا
يحسن صنعا ، ومع أن هذا ينشأ عن حسن
نية ، إلا أنه أثر من آثار الانبهار بالعسكرية
الأجنبية ، مما يتبعه الاندحار النفسي والخلل
الفكري (ص ٤٨ ، ٤٩) .

— وإذا كان لنا من ملاحظة على هذا
الفصل فهي على تلك العبارة : «
وتصاعد مدُّ الفتح الإسلامي على عهد عمر
بن الخطاب رضي الله عنه ، (وأوائل) عهد

عثمان بن عفان رضي الله عنه ، حتى أصبح
الفتح (طوفاناً عارماً) ص ٣٢ .

— فالقول بأن الفتح توقف منذ (أوائل)
عهد عثمان بن عفان غير دقيق ، بل غير
صحيح ، والصواب (أواخر) عهد عثمان .

— ذلك أن عثمان رضي الله عنه وأرضاه تولى
الخلافة منذ مطلع سنة ٢٤ هـ (سنة أربع
وعشرين من الهجرة) حتى أواخر شهر ذي
الحجة من سنة ٣٥ هـ (سنة خمس وثلاثين
للهجرة) أي كانت مدة خلافته اثنتي عشرة
سنة إلا أياماً . وظلت الأمور مستقرة والأمة
في نعمة وعافية ، واستمرت معارك استعادة
الفتح — حيث انتفضت كثير من المناطق
التي سبق فتحها — وانطلقت الفتوحات ،
حتى آخر عهد عثمان رضي الله عنه اللهم إذا
استثنينا السنة الأخيرة فقط سنة ٣٥ هـ
(خمس وثلاثين من الهجرة) .

ويكفي أن نشير إلى بعض ما كان من
الفتوح والمعارك في (الثلث الأخير) من
خلافة ذي النورين رضي الله عنه .

* ففي السنة التاسعة من خلافته رضي الله
عنه (الثانية والثلاثين للهجرة) فتحت
(مرو الروذ) و (الطالقات) و
(الجوزجان) ، (وطخارستان) ، وصالح
الأحنف أهل (بلخ) انظر الطبري
٣٠٩/٤ .

* وفي السنة العاشرة من خلافة عثمان
(الثالثة والثلاثين للهجرة) غزا معاوية ابن
أبي سفيان حصن المرأة من أرض الروم

من ناحية (ملطية) ، وغزا عبدالله ابن سعد بن أبي سرح (إفريقية) الغزوة الثانية ، بعد أن نقض أهلها العهد .

وغزا الأنحف بن قيس (خراسان) حين انتقض أهلها ، ففتح (المرويين) : (مرو) (الشاهجان) صلحاً ، (ومروالروذ) بعد قتال شديد .

وتبعه عبدالله بن عامر ، فنزل (أبر شهر) ففتحها صلحاً ، في قول الواقدي وفي رواية أن قبرص فتحت في هذه السنة ، (انظر الطبري : ٣١٧/٤) .

* وفي السنة الحادية عشرة من خلافة عثمان الشهيد رضي الله عنه (الرابعة والثلاثين للهجرة) كانت تلك الغزوة الخالدة ، غزوة (ذات الصواري) ، وهي واحدة من كبريات المعارك البحرية في التاريخ ، خاضتها البحرية الإسلامية الناشئة ، فلم يكن للمسلمين قبل عهد عثمان أسطول ، ولا عِلم بالبحر و قتاله . (انظر الطبري : ٣٣٠/٤) .

* وأستاذنا العلامة شيت خطاب نفسه عاد في ص ٦٦ من كتابه ليقول : « كان مدّ الفتح عالياً على عهد أبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وحتى سنة إحدى وثلاثين الهجرية من عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه » ا . هـ .

وسنة إحدى وثلاثين تعتبر الثامنة ، من سني عهد عثمان رضي الله عنه ، أي المتممة للثلاثين من سني خلافته رضي الله عنه ،

حيث كانت اثنتي عشرة سنة إلا أياماً ، كما أشرنا من قبل .

* فلو سلمنا بذلك ، وأهملنا ما ذكرناه آنفاً من المعارك والفتوح في (السنة التاسعة والعاشرة والحادية عشرة) لكان القول يتوقف الفتح أو ضعف المعارك وفتور الجهاد منذ (أوائل) عهد عثمان فيه ظلم للخليفة العظيم ذي النورين رضي الله عنه ، وما أكثر ما ظلم وما أكثر ما يظلم الآن ، من الذين يعرفهم ويحذرنهم منهم المؤلف الكريم .

كما أن في هذا أيضاً ظلم للحقيقة .
* وملاحظة أخرى على نفس العبارة ، قد تبدو شكلية ، ولكن المؤلف يوافقنا — لاشك — على أن لها قيمتها ، وأعني بها وصف الفتح الإسلامي بأنه « أصبح طوفانا عارماً » فهو الأديب الأريب الذي لن يعوزه أن يجد وصفاً أكثر لياقة من هذا الوصف .
* وعبارة أخرى في نفس الصفحة ٣٢ السطر الأخير يقول المؤلف : « ومن سنة مائة الهجرية بدأت معارك الدفاع عن البلاد الإسلامية ، وندرت الفتوح ، واستعادة الفتوح ، لتفرق كلمة العرب والمسلمين وتشتت صفوفهم ، فتوزعت الدولة الواحدة دولا ، على كل دولة منها قائد أو أمير » أ . هـ .

* وهذا أيضاً غير صحيح (فيما أعتقد) فلم يتوقف الفتح منذ سنة (المائة الهجرية) ولم يكن نادراً ، ونظرة سريعة إلى سنوات المائة الثانية في الطبري وغيره ، تثبت ذلك .

كما أن القول بأن الدولة الإسلامية تمزقت إلى دويلات أو حتى أخذت في التمزق بعد (سنة المائة) الهجرية ، قول غير صحيح ، فيما نظن ، فمبلغ علمنا أن أول إقليم انسلخ عن الدولة الإسلامية ، واستقل به أميره ، هو الأندلس ، وكان ذلك فعلا سنة ١٣٨ هـ (ثمان وثلاثين ومائة من الهجرة) حيث استقل به عبدالرحمن الداخل .

ولكن فيما عدا ذلك ظلت الدولة الإسلامية كلها وحدة واحدة ، تدين لخليفة واحد (اسما وفعلا) ولم تبدأ حركات الاستقلال والانفصال الحقيقية إلا في القرن الثالث الهجري (هذا باستثناء بعض الجيوب في المغرب مثل ولاية تاهرت) التي أسسها عبدالرحمن ابن رستم بمساعدة الإباضية سنة ١٣٧ هـ (سبع وثلاثين ومائة) وولاية (سلجماسة) التي أسسها بنو مدرار سنة ١٦٧ هـ (سبع وستين ومائة) ثم كان ما هو أخطر من ذلك ، قيام الدولة الإدريسية سنة ١٧٢ هـ (استنتين وسبعين ومائة) ثم دولة الأغالية في سنة ١٨٤ هـ (أربع وثمانين ومائة) .

وفيما عدا المغرب والأندلس ، ظل للخلافة المركزية سلطانها وهيبتها طوال القرن الثاني وشرطا من القرن الثالث .

* وفي ص ٣٦ وما بعدها تحت عنوان (المصادر) ذكر الإمام أبا جعفر بن جرير الطبري فأتى عليه ، وأورد ثناء العلماء عليه وتعظيمهم له ، ذاكراً ما كان يتحلى به من

الورع والصدق ، والتعبد بكتابة العلم . ثم ذكر ابن الأثير (صاحب الكامل في التاريخ) فأتى عليه بمثل ما أتى على الإمام الطبري ، ثم قال : « تلك هي بعض مزايا الطبري وابن الأثير ، وأمثالهما من المؤرخين المعتمدين يحرصون على تدوين الحقائق التاريخية ، كما حدثت بصدق وأمانة ، لأنهم يخافون الله ، فلا يفترون الكذب ، ولأنهم علماء بحق لا يلونون علمهم بالكذب والافتراء » .

ثم قال : « وقد كانت الرقابة النقدية على مختلف رواة الأخبار صارمة جداً في العصور الغابرة والرواة الذين ينحرفون عن الصدق يسجل عليهم انحرافهم بلا رحمة ولا هوادة .. ثم قال : « والمصادر التاريخية المعتمدة لإعادة كتابة معارك الفتح ، ومعارك استعادة الفتح ، والمعارك الدفاعية ، هي : تاريخ الطبري ، وتاريخ ابن الأثير ، وتاريخ فتوح البلدان للبلاذري » .

ونحن مع المؤلف في كل ما قال عن هؤلاء الأئمة ، فمن يماري في منزلة الطبري ، أو ابن الأثير أو البلاذري ؟؟ ومن يشك في صدقهم ، وعلمهم ، ونزاهتهم ، وورعهم ؟؟

* ولكن هذا الكلام (بهذه الصورة) قد يوحي ، بل هو بالقطع يوحي بأن كل ما في هذه الكتب مقطوع به ، موثوق بصحته ، متفق على صدقه ، إلا ما يكون « من الوهم والخطأ الضئيل الذي لا يخلو

منه بشر » (نفس تحفظ المؤلف ص ٣٨) .

فبرغم هذا التحفظ لا نسلّم بهذا الكلام ، على هذا الإطلاق ، فليس الأمر أمر وهم أو خطأ فقط ، ولكنه أكبر من ذلك . (إن الأمر أمر منهج) ، ولابد من بيان المنهج الذي سار عليه هؤلاء الأئمة في توارخهم .

* وها هو (إمام المؤرخين) كما أطلق عليه ، لم يدّع الصحة المطلقة ، والصدق المطلق لكتابه ، بل أعلن عن منهجه في المقدمة ، وبين أنه لم ينقد الأخبار التي دونها ، ولم يمحّص الروايات التي أثبتّها ، وقال : إنه لم ينقب لك عن رجالها وسندها بل أعلن أنه قد يروي لك ، ما يستبشع ، أو يستقبح ، أو لا يقبل ، وحذرنّا من ذلك ، وخرج من عهده ، قائلا : « فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضيين مما يستنكره قارئه ، أو يستشعنه سامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة ، ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا ، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا ، وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدّى إلينا » : (الطبري : ٨/١) .

* فكان ينبغي التنبيه إلى ذلك ، والا فسيأخذ القارئ كلّ ما في هذه المصادر (المعتمدة) على أنه الصدق ، ثم يراه متناقضاً يضرب بعضه بعضاً . فماذا يصنع ؟ وكيف يكون تقديره هؤلاء الأئمة ،

إذا لم يُحط بمنهجهم ، ويعلم ان عليه هو (الآن) دراسة وتمحيص الروايات ، وأنه كان من مبادئهم ، وشعاراتهم (من أسند لك فقد حمّلك) .

وفي ص ٤١ س ٨ يقول :

* (ومعيد كتابة المعارك مسئول فقط) عن تصنيف المعلومات الواردة عنها وتبويبها ، واستنتاج الدروس المستنبطة منها .. » الخ .

ولفت نظري (التفقيط) بكلمة (فقط) ، فكأن نقد الروايات ، غير وارد ، أو غير جائز ، أو ليس حقاً لمعيد كتابة التاريخ !! اللهم إلا إذا كان (التصنيف والتبويب) يشمل النقد ، وبيان صحيح الروايات من سقيمها ، وصادقها من كذبتها والترجيح بينها عند تعارضها ، واختلافها .

فأعتقد أن هذا من صميم عمل المؤرخ وأوجب واجباته الآن .

ولعل هذه العبارة تؤيد حقنا ، وتبين عن عذرتنا ، في الإطالة عن قيمة الروايات ومنهج الطبري وأضرابه من المؤرخين القدماء .

(ب) : وفي الفصل الثاني يبدأ بالحديث بأسى عن غياب العقيدة العسكرية الإسلامية غياباً تاماً عن القوات المسلحة العربية والإسلامية ، في جميع أرجاء البلاد العربية والدول الإسلامية حتى صارت مجهولة جهلاً كاملاً في المدارس والمعاهد والكتليات العسكرية العربية والإسلامية » ص ٥١ .

ومن واقع خبرته بالجيش العربي والإسلامية ، ومعاهدها العسكرية وأكاديمياتها الحربية ، يأسف أن بعضاً منها يطبق العقيدة العسكرية الغربية ، ويتوزع هذا البعض بين (الأذرع) الغربية فجزء في القبضة الأمريكية وجزء في القبضة الانجليزية ، وجزء في القبضة الفرنسية .

وبعض آخر يطبق العقيدة العسكرية الشرقية ، وهي الدول التي ارتبطت بالمعسكر الشرقي ، بتوريد السلاح ، وتدريب الضباط والفنيين ، واستقدام الخبراء الشرقيين .

وبعض ثالث لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، بل هو مذبذب بين الشرق والغرب يرتقي في أحضان هؤلاء حيناً ، وفي أحضان أولئك حيناً ، ويسخر منهم المؤلف في أسمى ، ويسمى عقيدتهم (العقيدة الغرايبة) نسبة إلى الغراب الذي نسى مشيته لما تركها وأراد أن يقلد العصفورة ، فما عرف أن يتقّف مشيتها ولا استطاع أن يعود إلى مشيته .

* وعرض بعد ذلك لأثر العقيدة العسكرية الإسلامية وأهميته وبيّن في إيجاز (سمات العقيدة العسكرية الإسلامية) ثم عرض للمصادر التي ينبغي الاعتماد عليها عند كتابة العقيدة العسكرية الإسلامية ، وهذه المصادر هي : القرآن الكريم أول المصادر وأهمها ، والسنة النبوية المطهرة ، والفقه الإسلامي ، والمصادر التاريخية المعتمدة ، والمصادر الجغرافية القديمة .

« والذي نتوخاه من دراسة المصادر المعتمدة كافة هو كتابة العقيدة العسكرية الإسلامية بأسلوب سهل مبسط بعيد عن التعقيد ، مع إدخال المصطلحات العسكرية الحديثة ، بعد تثبيت المصطلحات الفقهية القديمة » ص ٦٢ .

ثم يختم هذا الفصل بقوله : « والعود الأجدد إلى هذه العقيدة ، هو طريق النصر والعزة والجد ، وإلا فكيف نتصر بدونها » ص ٦٢ .

* كنت أتمنى أن يوضح المؤلف الفاضل مفهوم العقيدة العسكرية الإسلامية وماذا يعني به ، فما زال مصطلح (عقيدة عسكرية) غامضاً غير شائع .

فقد بدأ حديثه في الفصل الثاني (العقيدة العسكرية الإسلامية) عن غياب هذه العقيدة ، دون أن يبين لنا ماذا يعني بها ، ولعل عذره في ذلك أنه يراها أوضح من أن توضح .

ومن أجل هذا كان كل ما كتبه بشأنها تعريف مجمل في المقدمة « بأنها العقيدة التي ورد تفاصيلها في القرآن الكريم والسنة النبوية والفقه الإسلامي ، مبادئ طبقها المسلمون الأولون على عهد الرسول القائد عليه الصلاة والسلام ، وبعد التحاقه بالرفيق الأعلى ، فأحرزوا بتطبيقها الانتصارات المتوالية .. فلما تخلى المسلمون عن تطبيق هذه العقيدة العسكرية الإسلامية ، تخلى عنهم النصر » ص ٢٢ .

كما يفهم من إشارات سريعة في حديثه عن غياب العقيدة العسكرية الإسلامية في ص ٥٢ أنها مبادئ وأحكام الجهاد التي يعرفها قسم من الفقهاء .

ولكن كل هذا لم يغنِ الغناء المطلوب في توضيح العقيدة العسكرية الإسلامية فمفهومها أوسع من ذلك .

* وأيضاً كان الأول بهذا الفصل أن يتبادل المكان مع الفصل الأول ، أي تأتى العقيدة في الترتيب أولاً ، وإعادة كتابة المعارك ثانياً ، وهذا في نظرنا هو الترتيب الطبيعي فالعقيدة أولاً ، ثم المعارك ثانياً . والمؤلف قد جرى على هذا الترتيب (الذي نرجوه) في المقدمة عند عرضه لموضوعات الكتاب ، فجعل العقيدة العسكرية الإسلامية أولاً .

(ج) : وفي الفصل الثالث يناهض المؤلف — نفع الله به — بكتابة القادة العسكريين وبدأ في تقسيمهم إلى طبقات على غرار كتب الطبقات المعروفة ، التي أرخت لحياة المفسرين ، والقراء والمحدثين ، والفقهاء ، والشعراء ، والأطباء ، ويبيدي عجبه وأسفه أنه لأن لم تتم الترجمة للقادة الذين أبلؤا هذا البلاء ، وأثلوا كل هذا المجد .

وهو يلفت النظر إلى هذا التأريخ ، لتشتت المعلومات في أنواع مختلفة من المصادر « فمصادر التاريخ تذكر معاركهم ، وأعمالهم الإدارية ، ولأه وقادة وكتب الحديث تذكر عدد الأحاديث التي رووها ، وأسماء الرواة الذين أخذوا عنهم ومبلغ الثقة بهم ،

وكتب الأدب تروى ملأحهم الأدبية وأقوالهم السائرة ، وخطبهم وأحاديثهم البليغة وشعرهم ونثرهم ، وما قيل فيهم من الشعر في المدح أو الهجاء وكتب الأنساب تتحدث عن أنسابهم ، وعن أعقابهم وذريتهم وأزواجهم ، وكتب الفروسية تروى نثفا من فروسياتهم » أ . هـ ص ٦٩ .

وهو يرى أن ندرس حياة القادة من جوانبها المختلفة ، وليست العسكرية فحسب فهم ولأه ، وآباء وأزواج ، وبشر يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ، فلا يهمل جانب من هذه الجوانب حتى يرى المطلع على تاريخهم « أي نوع من البشر كانوا في حياتهم » .

وعلى كاتب تاريخ القادة « أن يكون خبيراً بالكتب والمكتبات ، مغرمًا بالقراءة والتتبع يلتقط كل كلمة أو جملة تفيده ، في دراسته وتأريخه ، ولكي يبين قصة حياة قائد من القادة عليه أن يدرس عشرات المصادر المعتمدة ، بل مئات المصادر ، وكل جهد ووقت ومال يُنفق من أجل تحقيق هذا الهدف الحيوي يهون » أ . هـ من ص ٦٩ ، ٧٠ .

ويرى مؤلفنا العظيم ، أن أيّ تهاون في هذا المجال ، وأي تأخر أو تلكؤ في كتابة تاريخ القادة العسكريين ، هو استمرار للعقوق ، والجهود الذي وقعنا فيه ، ثم عمقه وغذاه المستعمرون ، الذين سيطروا على مناهج التعليم عندنا ، فطمسوا أسماء

القادة الغر الميامين من أسلافنا ، وأبرزوا قادة الغرب ، فأصبح أبنائنا يعرفون عن نابليون (مثلاً) كل شيء ويجهلون عن خالد بن الوليد كل شيء » .

ثم يقول : « وكانت الجهود الاستعمارية في المؤسسات التعليمية العسكرية العربية الإسلامية ، أدهى وأمرّ ، وأشدّ إمعاناً في التخريب .. فقد كان يدرس في مادة تاريخ الحرب سير قادة الاستعمار الأجنبي .. فكان يدرس في الكلية العسكرية الملكية في العراق للطلاب الذين يصبحون ضباطاً في الجيش العراقي — معارك استعمار العراق في الحملة البريطانية أثناء الحرب العالمية الأولى ، بأسلوب يبهّر الطلاب بمزايا القادة البريطانيين .. فيتخرج الضابط العراقي العربي المسلم محطّم المعنويات مشلول الإرادة مهوراً بعقيدة العسكرية التي تحتل بلاده ، وبالعسكريين الذين اغتصبوها ، يؤمن بأن الأجنبي متفوق عليه عسكرياً وفكرياً .. فليس له إلا أن يستخذي للمستعمر ويستجدي رحمته وعطفه ويستسلم له ، وهنا بيت القصيد » ١ هـ ص ٧٢ ، ٧٣ .

فلعل في كتابة سيرة القادة العسكريين لأمتنا تطهيراً « لعقول الذين بهروا بالقادة الأجانب ، ولقلوبهم من أدرانها التي علقت بها » .

ولا تقتصر دعوة أستاذنا على كتابة سير المشاهير من القادة ، فقد « اكتشف أن قسماً من القادة المغمورين ، فتحوا بلاداً

أوسع من العراق ومصر مساحةً ، وأكثر منهما سكاناً .. وأن بعث القادة المغمورين أهم بكثير من كتابة سير القادة المشهورين لأن المغمورين اكتشاف ، والمشهورين اقتباس » ص ٧٥ .

وهناك من المؤلفين المحدثين من يكتب عن قادتنا العظام ، وهو يضع نصب عينيه مشاهير قادة الغرب ، ويروح يزن أعمال قادتنا بأعمال هؤلاء ، ويقيسها بهم ، ويباهي بقادتنا ويفاخر بهم ، لأنهم وأزوا قادة الغرب وساؤوهم . فينعي المؤلف علي هؤلاء ، ويرد عملهم عليهم قائلاً : « وإسباغ سمات ومزايا القادة الأجانب عليهم (قادتنا) خطأ فاحش ، وهو إن دل على شيء فإنما يدل على إعجابنا الشديد إلى حد الانبهار بالقادة الأجانب ، كآثر من آثار الاستعمار الفكري المستحوذ على عقول الذين يقعون في الخطأ الشنيع ، .. ونحن إذا شهبنا قادتنا بالقادة الأجانب كما فعل قسم من المؤلفين ، نكون قد قللنا من أقدارهم ومنزلتهم وأسأنا إليهم من حيث أردنا الإحسان » ١ هـ ص ٧٦ .

« إن العرب والمسلمين ، يتمنّون على الله أن يكتب تاريخ قاداتهم بشكل يدعو إلى الفخر ، والاعتزاز ، ولن يكون ذلك بتفريهم أو تشريقهم ، فما كانوا يتقبلون هذا التشريق ، أو التفريغ ويرفضون إلا أن يبقوا كما كانوا عرباً مسلمين » ص ٧٩ .

بهذا التوجيه الهادي الآمل يختم المؤلف هذا الفصل .

★ وإذا كان لنا من ملاحظات على هذا الفصل ، فذلك على العبارة التالية :

جاء في ص ٦٦ س ١٦ قوله : « وأكثر قادة الفتح من الصحابة ، وأقلهم من التابعين ، وجميعهم من العرب المسلمين عدا طارق بن زياد فاتح الأندلس الذي كان من البربر المسلمين » .

واعتقد أن هذا الجزم بأن « جميع القواد من العرب » غير مسلم ، فقد كان فهم من الموالي غير طارق بن زياد ، مثل موسى بن نصير ، فأبوه (نصير) من سبايا (عين التمر) سباه خالد بن الوليد في هذه المعركة ، وكذلك طبعاً كل أبناء موسى بن نصير فقد كانوا قادة أيضاً .

ومعلوم أن عروبة نصير والد موسى فيها كلام ، فقد أورد صاحب (أخبار مجموعة) أنه من « علوج » أصابهم خالد بن الوليد في عين التمر ، فادّعوا أنهم رهائن ، وأنهم من بكر بن وائل » (انظر هامش الأعلام : ٣٣١/٧) وربما كان هذا هو الأقرب

للصواب ، فقد كان معه في نفس السير (سريين) والد التابعي الجليل محمد ابن سريين ، وليس هناك شك في أنه من الموالي ، ثم لو تتبعنا أسماء العرب ما وجدنا اسم (نصير) من الأسماء المتداولة بينهم .

ومن الموالي أيضاً (دينار) أبو المهاجر ، الذي استعمله مسلمة بن مخلد على إفريقية

بعد عقبة بن نافع ، فدخلها سنة ٥٥ هـ (خمس وخمسين) وكان أول أمير للمسلمين تطأ خيله المغرب الأوسط . وهو من موالي بني مخزوم .

وهذا ما يحضرني الآن ، بادي الرأي ، ولا أشك أن المؤلف الجليل بهؤلاء القادة أخبر ، وأعلم . ولكنني رأيت الخائضين يخوضون ، في تاريخ أمتنا ، ويزعمون أن العرب كانوا يتعصبون ضد الموالي ، ويستأثرون دونهم بالرئاسة والقيادة ، ويجعلونهم مواطنين من الدرجة الثالثة ، وأصبحت هذه مُسلّمة من المسلمات وبذهية من البذهيات ينطلق منها الباحثون ، ويفسرون في ضوءها الأحداث والمواقف .

ثم إن هذا النص على « أن جميع القواد من العرب » لا داعي له ، في هذا المجال ، فليس من القضية في شيء ، وبقينا ليس من العسكرية الإسلامية « ان يكون القادة من العرب ، بل العبرة ، والقياس ، الذي يدور عليه الأمر ، هو الكفاءة ، والتقوى والصلاح ، كما أشار أستاذنا المؤلف في مقام آخر .

(د) : وفي الفصل الرابع تجلت صورة المؤلف (الجمعي) فهو هنا عضو مجمع اللغة العربية العتيد ، الذي يعرف قيمة التراث ، ومفهومه ، وأين هو ، ووسائل تحقيقه ، وحايته ، ومع ذلك لم ينس هدفه شأن العسكري الناجح ، الذي يحسن تحديد الهدف ، ولا يجعله يفلت منه تحت

أي ظرف . ومن هنا ظلت عين مؤلفنا العظيم على (التراث العسكري) بدءاً من حديثه عن حظ التراث العسكري العربي الإسلامي الذي بقى عاثراً ، فلم يُحقّق حتى اليوم غير عدد محدود من التراث العسكري العربي الإسلامي العريق » ص ٨٢ .

وهذا « التراث العسكري العربي الإسلامي جزء من الحضارة العربية الإسلامية وهذه جزء من الحضارة العالمية » ص ٨٣ .

وإحياء التراث العسكري العربي الإسلامي وتحقيقه ونشره ، ليس ترفاً ، ولا نافلة بل نحن في « حاجة ماسة إليه ، لأنه يعين على إعادة كتابة المعارك الإسلامية بشكل واضح وأسلوب حديث ، ويعين على تفهم سير القتال ، في المعركة ، وطريقة توزيع قوات الجانبين في تشكيلات تعبوية ، وطريقة عمل كل تشكيل قتالي في المعركة كما يعين على شرح الأسلحة التي استخدمها الجانبان في المعركة ، ومزايا تلك الأسلحة وأسلوب عملها في القتال » ص ٨٢ .

ومع كثرة ما ضاع من تراثنا العسكري ، كما يظهر من الاطلاع على كتاب الفهرست لابن النديم ، فإن « ما وصل إلينا من المخطوطات العربية يدل على أن العرب المسلمين بلغوا شأواً بعيداً في العلوم والفنون العسكرية ، وأنهم لم يقتصروا على علوم الدين والفلسفة والعلوم العقلية والنقلية والتاريخ والأدب ، بل كان لهم في العلوم العسكرية

باع طویل وقدم راسخة » ص ٨٤ .

ثم أخذ في بيان منهج التحقيق (وهو منهج عام لجميع العلوم) من جمع النصوص وفحصها وبيان قيمتها العلمية ، ثم ترتيبها ، ثم تحقيق عنوان الكتاب واسم المؤلف ، وتحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه ، وتحقيق متن الكتاب حتى يظهر بقدر الامكان مقاربا لنص المؤلف . ثم يبين واجب المحقق في خدمة النص بالتعريف والتقديم والتعليق والفهرسة واصفا كل ذلك في دقة العالم ، وحزم القائد .

— وما يستحق الالتفات إليه والتنويه به ، ما ذكره عن (خصوصية تحقيق التراث العسكري) وما يتميز به عن تحقيق التراث في العلوم والفنون الأخرى « في التفاصيل العامة التي فرضتها على التراث العسكري طبيعته العسكرية في المصطلحات العسكرية والمصطلحات الفقهية ، والمصطلحات التعبوية ومصطلحات الأسلحة المختلفة بما فيها الأسلحة غير المعروفة أو الشائعة في هذه الأيام » ص ٩٤ .

— ومن هنا أشار إلى نماذج المراجع والمعاجم التي تفيد في هذه المصطلحات والتي ينبغي أن يستعين بها المحقق .

— « ويرى » أن الجهات العسكرية المسؤولة في الدول العربية قادرة على إخراج التراث العربي الإسلامي إلى النور بالتحقيق والنشر ، بالتعاون مع العلماء الأعلام في الأقطار العربية من جهة ، وبالتعاون مع

وتصبح لسانهم المعبر ، ووعاء فكرهم ،
وعيبة مشاعرهم وعواطفهم .

عندها يمكن أن نقول : نعم . ولعل
المؤلف على ذكر من أن كثيراً ، أو بعضاً
من الدول العربية لم يجد في جيشه ضابطاً
يصلح تمثيله في لجنة توحيد المصطلحات
العسكرية ، وفوضوا المؤلف ، فصار وحده
مثلاً لعدة جيوش !! والله المستعان .

(هـ) : الفصل الخامس : في هذا الفصل
يعطي لمحة عن اللغة الفصحى في المجال
العسكري ، وما أصابها من مد وجزر ،
حتى انتهى الأمر بأن أصبحت اللغة
العسكرية « ملوثة بالمصطلحات العسكرية
الأجنبية بتأثير الدول غير العربية التي غزت
البلاد العربية في القرون القريبة والبعيدة » ص
١٠٥

والمؤلف كالمعهد به منصف دائماً ، فهو
يذكر للجيش العربية أنها تنادت بالعودة إلى
العربية الفصحى ، « وتساعدت هذه
المحاولات بعد رحيل الاستعمار عنها ، بل إن
بعضها بدأ هذه المحاولات قبل رحيل
الاستعمار مثل سورية والعراق » ص ١٠٦

ويرى أن بقاء طائفة من المصطلحات
العسكرية (الأجنبية) أثر من آثار
الاستعمار الفكري البغيض لأنه يذكر دائماً
باستعمار تلك الدول ، وخضوعها للدول
الأجنبية ، ويقر لها بالتفوق ، وكل ذلك يؤثر
أسوأ الأثر في معنويات الجيوش العربية « ولا
نصر لجيش مزعزع المعنويات » .

الضباط المثقفين في جيوشها من جهة
أخرى » ص ٩٧ .

* وإذا كان لنا من ملاحظة على هذا
الفصل ، فهو أننا نعتقد أن إسناد تحقيق
التراث العسكري إلى طلاب كليات الأركان
والقيادة كجزء من دراستهم العملية
العسكرية ، باعتبارها رسائل الطلاب التي
تقدم إلى الكليات في نهاية سني
الدراسة » . أعتقد أن هذا لا يمكن أن
يطبقه هؤلاء ، ولا هم يحسنونه إذا أرادوا أن
يقوموا به ، فمهما كانت خبرتهم في مجالات
العلوم العسكرية ومهما كانت لهم قدم في
فنون القيادة والحرب ، فإن هذا شيء ،
والتعامل مع التراث شيء آخر ، فهؤلاء
دراستهم كلها أجنبية ، وحظهم من العربية
ضئيل ومن الفصحى القديمة أكثر ضالة .
وأخشى أن يصير عملهم هذا مسخاً
للتراث .. وتشويهاً له ، مثلما نراه في عمل
أدعياء المحققين .

فأنا بيقين مع المؤلف في قدرة بعض
« الضباط المتقاعدين المعروفين بالثقافة
والعلم والقدرة على التحقيق » ص ٩٨ ،
ولكن لست معه في « إمكان الطلاب في
الكليات والجامعات العسكرية أن ينهضوا
بمهمة تحقيق التراث العربي الإسلامي بكفاية
واقترار » ص ٩٩ اللهم إلا بعد أجيال حين
تُصبح اللغة العسكرية هي اللغة الفصحى ،
التي تشيع في الجيش ، ويتشرها الجنود
والضباط حتى الأعماق ، وينشثوا في ظلها

ولكن :

(٨٠٠٠٠) ثمانين ألف مصطلح عسكري ، « ص ١٢٧ ولعل المثل الذي ضربه المؤلف بالمصطلحات العسكرية التي تخص قطعة سلاح خفيف واحدة (الغدادة — الرشاش) يكفي لذلك ففي هذه القطعة وحدها ثمان مئة مصطلحات حول استعمالها فقط ، هذا غير مصطلحات الأعطال والإصلاح والاستبدال ، ونحوها .

ولكن تعريب اللغة العسكرية ، والعودة بها إلى العربية الفصحى لا يكفي فقد تعود الجيوش العربية وعددها الآن أكثر من عشرين جيشا ، إلى اللغة العسكرية الفصحى ، ولكنها تظل مختلفة فيما بينها ، بل تتناقض فيما بينها وهذا فيه من الخطورة ما فيه .

ولذا لابد من توحيد المصطلحات العسكرية .

محاولات توحيد اللغة العسكرية :

وفي إنصاف كامل واستيعاب وإف يستعرض المؤلف المحاولات المتعددة التي قامت بها الجيوش العربية ، نحو ترجمة المصطلحات العسكرية وما أثمرته من معاجم عسكرية متعددة ، نعجب لإحاطة المؤلف بدقائقها ، وخبرته بها خبرة الناقد البصير .

وقد بذلت محاولات عديدة لتوحيد المصطلحات العسكرية ، ولكنها باءت بالفشل إلى أن تقدم المؤلف ببحث عنوانه (أهمية توحيد المصطلحات العسكرية العربية) ألقاه في مؤتمر مجمع اللغة العربية المصري والجمع العلمي العراقي الذي عُقد في بغداد سنة خمس وثمانين وثلثمائة وألف الهجرية ١٩٦٠/١١/٢٠ م — ١٩٦٠/١١/٣٠ م وعلى أثره صدر قرار من المؤتمر بتشكيل لجنة من المختصين تحت إشراف جامعة الدول العربية والقيادة العربية الموحدة لتوحيد المصطلحات العسكرية على أن يعاونها بعض اللغويين » ص ١١٩ .

— وحينما يتحدث المؤلف عن ضرورة توحيد المصطلحات العسكرية ، قد يتبادر إلى الذهن أن ذلك أمر محدود ، وربما انصرف ذهن البعض إلى الرتب والنياشين ، ووقف عندها ، ولكن الذي يعنيه المؤلف أكبر من ذلك بكثير ، فاللغة العسكرية التي يدعو إلى توحيدها تشمل أسماء الوحدات ، وأنواع الأسلحة الخفيفة وأنواع المدافع ، وتشمل مصطلحات الرمي الخاصة بالأسلحة وأنواع ذخيرتها ، كما تشمل مصطلحات صنوف الجيش : كالمشاة والخيالة والدروع والمدفعية والهندسة والإشارة والقوة الجوية ، والقوة النهرية ، والقوة البحرية .. الخ

ولعل أبلغ دليل على سعة هذه اللغة العربية العسكرية ، وأنها ثروة هائلة من المفردات ، وليست مجرد بضع مئات من المصطلحات ، الدليل على ذلك أن « معجم المصطلحات الموحد (انجليزي — عربي) وحده يضم بين دفتيه

وحده .. والقائد العسكري الذي يُصدر أوامر عسكرية في الميدان ، يصعب على العسكريين الذين ينتسبون إلى غير قطره فهمها ، ويصعب عليهم تنفيذها .

إن توحيد المصطلحات العسكرية والالتزام بتطبيق المعجم العسكري الموحد ، عاملان رئيسان لوضع التعاون العسكري العربي في السلم والحرب موضع التنفيذ .. وهذا التعاون أصبح الآن قضية حياة أو موت بالنسبة للعرب » ص ١٣٢ .

« ولتذكر جامعة الدول العربية أن توحيد المصطلحات العسكرية العربية وإخراج المعجم العسكري الموحد ، هو أول وأبرز عمل علمي أنجزته الجامعة العربية في تاريخها ، وهو إنجاز وحدوي لا غبار عليه تفخر به الجامعة وتعتدّ به » ص ١٣٧ .

— ونسأل الله أن يحقق أمل المؤلف الذي هو أمل الأمة كلها في توحيد المصطلحات العسكرية والالتزام بها نصاً وروحاً في جميع الجيوش العربية .

وإذا كان لنا من ملاحظة على هذا الفصل ، فهو تلك النغمة التي لم تخطئها أذني ، فعند الحديث عن اللغات الأجنبية ، وكيف تسربت إلى الجيوش العربية الإسلامية كانت هناك بعض العبارات ، وبعض الألفاظ تشي ، أو توحى بشيء من الإساءة للدولة العثمانية العظيمة .

وأبادر فأؤكد أنني لا أتحدث عن هجوم أو إساءة صريحة ، بل ولا ضمنية لدولة

وقد كان المؤلف — نفع الله به — وراء نجاح هذا المشروع ، ووضع هذا القرار موضع التنفيذ ، حيث كان رئيس اللجنة ، وممثلاً لمجمع اللغة العربية المصري ، وفي نفس الوقت كان في المرحلة الأولى من عمل اللجنة ممثلاً لعدة دول عربية اعتذرت عن إيفاد ممثلها في اللجنة فجعلته وكيلاً مفوضاً عنها ، أما في المرحلة الثانية فقد كان ممثلاً لجميع الدول العربية عدا مصر والعراق وسورية ولبنان .

وقد استمر هذا العمل خمس سنوات كاملة ، بدون انقطاع ، حتى كان العمل يستمر أيام الإجازات والأعياد .

وكان المؤلف هو الذي وراء كل ذلك ، بصبره ومثابرته ، وحسن تأنيبه للأمر ثم لمنزله في نفوس الجميع ، ثم من قبل ذلك ومن بعده لإخلاصه ، ولتوفيق الله له وللمخلصين .

وقد أثمر هذا العمل الرائع العظيم أربعة معاجم عسكرية ، يحوي الواحد منها نحو ثمانين ألف مصطلح .

وأهمية هذا المعجم الموحد لا تقتصر على المثقفين العرب وحدهم ، بل تتعداها إلى الكتب العسكرية العربية الفنية ، فالكتاب العسكري العربي المطبوع في قطر عربي من الأقطار العربية يستعمل في جيش ذلك القطر وحده .. والكليات والمعاهد والمدارس العسكرية في قطر عربي تخرج ضابطاً وضابط صف لذلك القطر

الخلافة ، ولكن المؤلف خير من يعلم أن للألفاظ أرواحاً وأنفساً بل وظلالاً وألواناً .

ولا أشك في أنه يوافقني في أن بعض عباراته تلقي ظلالاً قائمة ، وألواناً كالحلة على دولة الخلافة . ولا داعي لأن نضرب الأمثلة ببعض هذه العبارات ، وهي على أية حال واردة في ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ بين ثنايا الكلام .

(و) : الفصل السادس :

في هذا الفصل يتحدث المؤلف عن الأسلحة القديمة ، وصفها ، وطريقة استخدامها ، وتطورها ، وكيف كانت مرونة المسلمين في اقتباس الأسلحة وطرق استعمالها ودراسة هذه الأسلحة ، تؤدي إلى معرفة سبب من أسباب انتصار المسلمين في معاركهم ثم إن معرفة هذه الأسلحة ، ووصفها ، وكيفية استخدامها يُعين على فهم المواقع والمعارك ، ومعرفة وصفها ، وكيف دارت ، فيساعد على طريقة كتابتها .

بل إن دراسة هذه الأسلحة يُظهر قيمة السلاح في كسب المعركة ، وأن الأيدي المتوضئة التي استخدمته يرجع إليها الفضل الأول في الانتصار .

والمؤلف بهذا العرض يُبين لنا قيمة التدريب على السلاح ، وأثر ثقة المقاتل في سلاحه ، وكيف أمر الإسلام بالتدريب ، وحث عليه ، حتى كان من الأئمة من يحافظون على تدريبهم على السلاح ، وتجديد العهد به مع بلوغهم سن الشيخوخة مثل

الإمام أحمد بن حنبل ، عملاً بحديث الرسول ﷺ « من » تعلم الرمي ، ونسيه فليس منا » .

ثم عرض المؤلف بالوصف التحليلي والرسوم التوضيحية لمجموعتين من الأسلحة الفردية والأسلحة الجماعية .

ويقدم المؤلف تفسيراً لطيفاً لسكوت المؤرخين القدامى عن وصف الأسلحة وخواصها وهو : « معرفتهم الكاملة لخواصها ، وتشغيلها ، لأنها كانت معروفة يومئذ » وهذا تفسير ذكي أعتقد أنه أصاب عين الحقيقة .

— ونما يستحق التنويه والإشادة به في الكتاب كله بصفة عامة الدقة اللغوية والسلامة النحوية ، في زمان عَزَّ ، أن يوجد فيه مثل هذا النقاء ، وهذه السلامة وإخال المؤلف لا يرضى عن أن نذكر له ذلك ، أو نشكره له ، فهو أكبر من أن يحسب له هذه الأوليات ، ولكننا نضربها مثلاً لمن يكتبون عساهم يعون ويُدركون .

— وقد كان المؤلف دقيقاً في ضبط بعض الألفاظ ، التي قد يُشكل نطقها ، أو يؤدي إلى غير المقصود من المعنى ، ومن أطرف ذلك وأدقه ضبطه كلمة (الموحد) بكسر الحاء على كثرة تكرارها ، في الحديث عن (المعجم الموحد للمصطلحات العسكرية) فلم يمل من ضبطها ، وكأنه يريد أن يقول : إن هذا المعجم أداة التوحيد للغة العسكرية وللجيوش العربية ، مع أن المتبادر إلى الذهن أنها (الموحد) بالفتوح .

(الجُعَلَيُون) نسبة إلى دابة الأرض (الجُعَل) وهي دابة لا تستريح إلا في المواضع الندية القذرة . ذات الرائحة الكريهة ، فإذا وضعت في الأماكن الجافة النظيفة ذات الرائحة الطيبة ماتت فوراً » .

ويقول : « يتألف هؤلاء من المستشرقين المفرضين الحاقدين على العرب والمسلمين ، وطلابهم من المستغربين الذين حذروا حذو المستشرقين وتلوثت عقولهم بما كتبه أساتذتهم ، فنقلوها إلى العربية نقلاً ، وأدعوه لأنفسهم كذباً وزوراً » . ص ١٨٠ .

كما ينحى باللائمة على التيار الصليبي ، ويحذر منه ، ومن التيار الشيوعي الذين حرفوا المفاهيم والمصطلحات ، وجعلوا الإسلام يمينا ويساراً ، ويسمهم (القصابيون) أي (الجزارون) .

كما يحذر من التيار (الجاهلي) الذي يحاول أن يعزو كل أثر للإسلام وتعاليمه ورجاله للعرب فظاھرہ حب للعرب ، وباطنه كره للإسلام .

فلا يصح أن نأتمن (الجُعَلَيين) ولا (الصليبيين) ولا (القصابين) ولا (الجاهليين) ولا (الشعوبيين) على إعادة كتابة العسكرية الإسلامية ، حتى لا يمسخوها ويدسون فيها ، ويفترون عليها ، ويشككون فيها باسم البحث العلمي والموضوعية والنقد ، وشعارات زائفة أخرى ، وكل هذه الشعارات منهم براء » ص ١٨٥ .

وقد جاءت الأخطاء المطبعية قليلة جداً لا تبلغ أصابع اليد عدداً إلا أن إحداها تستحق المراجعة : وهي ما جاء في ص ١٢٠ س ١٤ حيث جاء على لسان المؤلف قوله (فذهلت) مع ضبط الذال بالضم ، وأظن أن هذا خطأ مطبعي ، والصواب (فذهلت بفتح الذال وكسر الهاء .

وهناك خطأ أيضاً في ص ٦٦ س ١٤ ، حيث يقول : « ثم أصبح الفتح الإسلامي فتحاً جديداً واستعادة للفتح من سنة إحدى وثلاثين الهجرية إلى سنة مائة الهجرية ، وذلك بعد عودة الوحدة إلى صفوف المسلمين » وواضح أن هنالك خللاً في العبارة ، فلم تكن سنة إحدى وثلاثين سنة عودة الوحدة للمسلمين وإنما كانت سنة بدء الاختلاف ، ولعل الصواب (سنة إحدى وأربعين) وهو مالا يخفي على القارئ .

(ز) : ويحتم المؤلف كتابته القيم بالتحذير من « التيارات المريية » التي تقلب الحقائق رأساً على عقب ، أو تعللها تعليلاً منحرفاً يصور فيه أمجاد العرب والمسلمين ، وكأنها أشياء تافهة لا قيمة لها ، ولا تستحق الذكر أو الفخر » ص ١٧٩ .

وتلك التيارات التي تبحث عن المثالب وتضخمها ، وتبرز معالمها ، وتعمق آثارها وتغض الطرف عن المزايا ، أو تهون عمداً من قيمتها الحقيقية .

ويطلق على هؤلاء لقباً ظريفاً جديداً لو شاع وعرف به هؤلاء فهو يسمهم

والمؤلف مع دقة الموضوع ، ومنهجيته ، لم ينس دورَه ، قائداً ، ورائداً ، وعالمًا ومصلحاً ، فعندما تكلم عن سمات العلماء الذين يُرجى منهم أو يوكل إليهم الإسهام في كتابة العسكرية الإسلامية ، ذكر أن من هذه السمات : « الإخلاص ، والتجرد وأن يكون عاملاً بعلمه » .

ثم ألقى بالقاعدة العامة محذراً من إغداق الأموال بكثرة على العلماء فإن هذا « أفسد العلم ، لأن تجار العلم انتهزوها فرصة للإثراء السريع ، فأخذوا يكتبون أي شيء ويحاضرون بأي كلام ، ليقبضوا الأموال بسرعة ، لأن الكتابة الأصلية تستغرق وقتاً طويلاً في البحث والتنقيب والاعداد ، لذلك يكتبون أي كلام ليتقاضوا الأجر المادي .

وتجار العلم يكتبون ويقولون ما (يُحب) دافع الأموال لهم .. أما العالم المخلص في عمله ، فيكتب ويقول (ما يجب) أن يسمع دافع الأموال ، لأن كلمة العلم فوق كل كلمة « ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

ثم يعود مرة ثانية بأسلوب القائد الذي

يتأكد من أنه سد كل الثغرات وأحاط بكل أطراف الموقع ، فيؤكد أمر المنهاج والأسلوب ، ويحذر من الانحرافات والأخطاء التي وقع فيها المؤلفون الأجانب ، وتلاميذهم حتى « انتقل الزور والتشويه والدس ، والافتراء ، بالأستاذ الذي تخرج في الجامعات الأجنبية وبالكتاب الذي ألفه المؤلفون الأجانب ، وترجمة الكتب الأجنبية المريبة ونقلها إلى العربية دون تمحيص ، وتدريس تلك الكتب .. حتى استشرى التزوير والدس وشاع ، فأصبح بالنسبة للجهلة هو الحق الذي لا مرأى فيه ، وبالنسبة للملوثة عقولهم بهذا الكذب الصارخ هو العلم الذي لا علم غيره » ص ١٩٦ .

ولعل خير ما أختتم به هذا العرض ، هو أن أدعو للمؤلف أن يتقبل الله دعوته التي ختم بها كتابه ، فيجعل هذه الدراسة التي عكف عليها محققة لأهدافها الحيوية وخاصة لوجهه الكريم . وحسبنا الله ونعم الوكيل .



